فى مجلات الغرب

من فرنسا (مرسيليا)

نشرت مجلة « كراسات الجنوب » *Cahiers du Sud* فى العام الماضى عددا ممتازا خاصا بالدراسات الاسلامية وبالعلاقات بين العالم الاسلامى والعالم الغربى جعلت عنوانه «الاسلام والغرب». وقد امتاز هذا العدد بميزات كثيرة تجعل منه عدداً عظيم القيمة جديرا بعناية المهتمين بالدراسات الاسلامية وبالعلاقات بين الشرق الاسلامى وأمم الغرب . من هذه الميزات أن من بين الذين ساهموا فى تحريره جماعة من أشهر المستشرقين الفرنسيين وأكبر المتخصصين فى شئون الشرق وجماعة من كبار كتابنا المصريين المعاصرين . وقد حاول المسئولون عن إصدار هذا العدد أن يضعوا به أمام القراء صورة للعالم الاسلامى ولحياته الثقافية ولما بينه وبين العالم الغربى من صلات ، وبذلوا غاية جهدهم فى أن يجعلوا هذه الصورة منظمة واضحة كل الوضوح . ونحن ننقل لك هنا عنوانات الأقسام الستة التى ينقسم إليها العدد لترى طبيعة الأبحاث التى احتوى عليها :

الباب الأول : أوضاع .

الباب الثانى : تأثيرات وتفاعلات .

الباب الثالث : آراء فى الاسلام والعالم الاسلامى .

الباب الرابع : الفنون والآداب فى الاسلام .

الباب الخامس : نصوص ومقالات إسلامية .

الباب السادس : شهادات عن الاسلام.

وقد اختلف حظ هذه الأبواب من التوفيق فبينما حفل قسم الفنون والآداب مثلا بمقالات عظيمة القيمة نرى الباب الخامس الذى يهدف إلى أن يقدم للقارىء الغربى نماذج من أدب العرب والمسلمين قد أخفق فى الوصول إلى غايته . شغل شعر التصوف فى هذا القسم مكانا أكبر جدا مما خصص لبقية فنون الشعر وشغلت بلاد المغرب فيه مكانا أكبر جداً مما شغلته بقية بلاد العالم الاسلامى . وتفسير هذا يسير فيما يظهر وهو أن المسيو إميل ديرمنجيم Emile Dermenghem محرر العدد يعيش فى بلاد المغرب ، يعاونه فى أعماله علماء وأدباء من المغاربة ، ثم هو يؤثر التصوف الاسلامى بأكثر عنايته ومجهوداته . القارئ يأسف إذن لأن النصوص التى اختيرت فى هذا القسم ليست مما يعطى القارىء الغربى فكرة شاملة دالة على طبيعة الآداب الشرقية الاسلامية بألوانها المتعددة ولا مما يبين فى صورة عادلة النشاط الفكرى لمختلف بلاد الاسلام . الشعر الاسلامى تصوره فى هذا العدد مختارات من شعر ابن الفارض فى العربية ومن شعر جلال الدين الرومى فى الفارسية ومن شعر الشاعر التركى عزيز محمود هدائى ؛ ولا شك أن شعر ابن الفارض الصوفى مثلا لا يكفى مطلقا لتمثيل الأدب العربى كله .

ننتقل الآن إلى دراسة المقالات التى

اشتملت عليها بقية الأبواب فنجد فى صدر الباب الأول مقالا للمستشرق الأستاذ لويس ماسينيون يدرس فيه « المركز الدولى للاسلام » ونحن نقف فيه أمام فكرة أغلب الظن أن القارئ العربى سيوافق عليها كل الموافقة وهى أن العالم الاسلامى إن كان اليوم لا يقاوم ما تصدر إليه أوربا من علوم تطبيقية وفنون عملية واختراعات ، فانه قادر على أن يرد عن نفسه — بما فيه من عقائد وإيمان — ما يسود أوربا من التهالك على الثقة بالعلم ومن الاغراق فى الشكوك ، وهو قادر على أن يميز ما كان من أصول الخلق الأوربى الحق وبين ما يزيفه ويروجه المستعمرون من المذاهب المغرضة .

ويلى مقال الأستاذ ماسينيون مقال للمرحوم الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ذهب فيه إلى أنه ليس فى روح الاسلام ذاتها ما يتعارض مع التفكير الغربى ، كما أنه ليس فى التفكير الغربى ذاته ما يعارض الاسلام .

ولكن هناك أحيانا تعارضا بين بعض الغربيين وبعض الشرقيين ، ولا بد أن تمحص أسباب هذا التعارض والاختلاف وهذا هو الموضوع الذى يدير عليه فرنسوا بونجان (١) المقال الذى يلى مقال المرحوم مصطفى باشا . يلاحظ فيه الكاتب أولا أن الرجل الغربى يستطيع أن يفهم أمور الشرق بأيسر مما يستطيع الشرق أن يفهم أمور الغرب ، فقد يسر المستشرقون الأوربيون دراسة الشئون الشرقية ومهدوا طريقها أمام إخوانهم الغربيين ، أما الشرقيون فانهم لا يجدون مثل هذه الدراسات المنظمة الميسرة عند الغرب ، وهم إن أرادوا أن يعرفوا عنه شيئا وجدوا أنفسهم أمام أكداس متراكمة من المعلومات والكتب لايدرون بأيها يبدأون ولا كيف منها الخلاص ، فليس فى الشرقيين مستغربون (٢) قد أنتجوا من الآثار ما ينفع مواطنيهم فى دراسة شئون الغرب .

والكاتب ينتقل بعد ذلك إلى دراسة هذا الاستغراب أو هذه العناية بشئون الغرب التى ينتجها اتصال الشرق بأوربا . يلاحظ الكاتب أولا أن هناك من الشرقيين من إذا أخذ فى الاتصال بالغرب لم يلبث أن يقتنع بآراء الغرب ويعتنق مذهبه فى الحرية مثلا . هذا الاقتناع يدفعه أولا إلى مهاجمة الغرب المستعمر ومطالبته بأن يعطى الشرق مثلما يريد لنفسه من الحرية . وهو ثانيا يريد أن يطبق هذه الحرية التى آمن بها فى الشرق ، وهذا عنده معناه التحرر ليس من قيود الاستعمار الغربى فقط ولكن من قيود التقاليد الشرقية أيضا ، ونتيجة هذه كانت تكون القضاء على التقاليد الشرقية قضاء تاما وزوال كيان الشرق ذاته ، ومن حسن الحظ — فيما يرى الكاتب — أن هناك من الشرقيين من هم أذكى من هؤلاء المستغربين المتحررين وأحرص على أن يحسنوا الفهم لتقاليد الشرق وأن يستبقوا ما كان منها صالحا جديراً بالحياة . يرى هؤلاء — فيما يقول الكاتب — أن المناظرة بين الشرق والغرب جدير بها أن تدفع الشرق إلى أن يعرف مقوماته باعتباره شرقا خالصا ، وأن يتمسك بمميزاته ويحيى تقاليده الصالحة . وهذا القسم من الشرقيين ليسوا — عند الكاتب — أنصار

---

(١) François Bonjean, *Quelques causes d'incompréhension entre l'Islam et l'Occident*

(٢) « Occidentalistes »

الشرق فقط ولكنهم أنصار الانسانية كلها .

والكاتب يختم مقاله بالآية الكريمة : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار . نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء و ضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم . »

ونحن نريد أن نفرغ أولا من دراسات الكتاب الأوربيين ، ولذلك نترك الآن الدكتور محمد حسين هيكل باشا لننظر فى الدراسة القصيرة الشاملة التى كتبها الأستاذ رينيه جينون (١) عن « سيف الاسلام » يريد أن يثبت فيها لهذا التعبير معنى رمزيا غير معناه المادى ، ويذهب إلى أن هذين المعنيين الرمزى والمادى يناظران المعنيين اللذين للفظ «الجهاد» فى الحديث النبوى الشريف « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» أى من الجهاد المادى إلى جهاد النفس . السيف إذن سلاح بالمعنى المادى وسلاح بالمعنى الروحى أيضا . والكاتب يقارن هذا التفسير الذى يقول به لعبارة « سيف الاسلام » بالصورة التى تقابلنا فى الميثولوجيا اليونانية لأبولون وهو يقتل التنين بسهامه ، فان التنين والسهام هنا رمزان ، وهو يقارنه أيضا بفكرة « القربان الفيدى » فى الدين الهندى القديم .

والكاتب يقول فى آخر مقاله — فى تواضع — إنه إنما جمع بقصد الملاحظات عن الموضوع ليس إلا ، وأن هذه الملاحظات تكفى — على كل حال — لتخطئة من يذهبون إلى أن « سيف الاسلام » لا يدل إلا على العنف والقوة المادية .

ويجد الذين يعنون بمقارنة الأديان فى المقال الذى يلى مقال سيف الاسلام دراسة هامة تمس المسيحية والاسلام ، وهى مقدمة المرحوم الأب ميجويل أسين بلاسيوس (٢) لكتابه عن « الشعور المسيحى فى روحية الغزالى (٣) » وتلى هذا المقال دراسة طريفة للكاتب ب. ج. تيرى (٤) عنوانها « محادثات فى مراكش » والكاتب يشير إلى المحادثات التى يقول أنها دارت فى أوائل عام ١١٦٩ فى مراكش بين رجال ثلاثة ممتازين من أعلام الاسلام وهم أبو يعقوب وابن الطفيل وابن رشد ، وهو يرى أن أحاديثهم وقراراتهم أحدثت أكبر صدمة فكرية هزت أوربا المفكرة فى ذلك الوقت ، وهزت أوربا المسيحية على الخصوص ، ذلك أنهم قد قصدوا إلى أن يردوا للفلسفة المقام الذى لها فى عصرها العربى الزاهر ، فى أيام العباسيين فى بغداد .

ويظهر أن موضوع الحب العذرى ونشأته باعتباره فنا من فنون الشعر الأوربى يشغل فى هذه الأيام عقول المستشرقين . فنحن نقابل فى الباب الثانى من أبواب هذا العدد من « كراسات الجنوب » مقالين

---

(١) René Guénon, *Sayful Islam*

(٢) Miguel Asin Palacios, *Contacts de la spiritualité musulmane et de la spiritualité chrétienne.*

(٣) *« La espiritualidad de Algazel y su sentido cristiano »*

(٤) P.G. Thèry

حول هـذا الموضوع . أولهما لشـارل سالفرانك [١] يرى فيه أن مشكلة أصـول الحب العذرى فى الشعر الأوربى قـد حلت حينما أثبت الكاتب ا. ر. نيكل A.R. Nykl العلاقة بين شعـر العـرب فى الأندلس وبين شعـر التروبادور فى فـرنسا ، وانتهى — مع ريبيرا Ribera وغيره من العلماء — إلى أن الشعر الأندلسى العـربى كان هو أصل هذا الشعر الأوربى الذى تغنى بالحب العذرى ، بدلالة ظهور القافية — وهى من مميزات الشعـر العربى الأصيلة — فى شعر التروبادور وبدلالات أخرى تلاحظ لأبنية الشعر ، ويختم سالفرانك مقـاله بقوله : « فتح الحب العذرى الغرب كله ، وقد كان زهرة رقيقـة أزهرت فى ربيع الأندلس النضر بعـد أن نمت فى النفس العربية القديمة . »

المقال الثـانى عن الحب العذرى كتبه الاستاذ هنرى بيريز[٢] وعنوانه « الشعر العربى الأندلسى وعـلاقاته المحتمـلة بشعر التروبادور » . يمتاز هذا المقـال عن سابقه ادراسـة الـكاتب للشعر العربى الأندلسى دراسة مفصلة على قدر ما يمكن التفصيل فى مقال محدود ؛ وهو يميز بين الشعرالعربى المشرقوبين شعر العرب فى الأندلس، ويقرر — بصدق — أن للشعر الأندلسى الاسلامى — حتى فى موضوعاته التقليـدية — صفـات ومميزات خاصة تفرق بينه وبين أدب العرب المشارقة . سببت ذلك مسببات كثيرة يذكر منها التأثير الاسبانى فى شعر الأندلس العربى ويورد بعض سطور من شعر ابن قزمان ليظهرنا عـلى تأثر شعره باللغة والألفـاظ الرومانية la langue romane .

ننتقل الآن إلى الباب الثالث من أبواب العدد فنجد مقالين عن التصوف الاسـلامى أولهما لرينيه جينون عن « السر فى الدين الاسـلامى » والثانى لماسـينيون عن « اللغة العربية ، من حيث هى اللغـة الدينية للاسلام» ننقل منه هـذه الجملة الـكبيرة الدلالة : «إذا كانت الاسرائيلية تقوم على الرجاء والأمـل ، وكانت المسيحية مبنيـة على الاحسان والمحبة ، فان الاسلام مؤسس على الايمان . »

وفى البـاب الرابع مقـال قيم عنـوانه « الـكنيسة والمسجد » كتبه جورج مارسيه Georges Marçais درس فيه نشأة المسجد وقابل بينـه وبين الـكنيسـة . يصف فى أول مقـاله أول مسجـد بنى بالمدينة ثم يمضى فى تتبع التطورات التى مرت بالمساجد حتى صارت إلى البناء الذى نعرفه اليوم . و إذا كان الـكاتب يظهر فى أجزاء المقـال كلها علمه ومقـدرته فانه يظهر فى ختـامه ما له من مشـاركة فى الفن والأدب والفلسفة أيضا حين يقارن بين المسجـد والـكنيسة وبين الاسلام والمسيحية فيقول : « أن الـكنيسـة تبـدو كأنها عالم غير حقيقى تحفه الأسرار يكشف الله فيه عن وجوده للمؤمن ويقرب منه ، أما المسجد فهو حمى يجمع الزاهد أفكاره فيه ولا يسعه إلا أن يحس نفسـه فيه وهى تتصـاغر أمام ألوهية لا يستطيع منها دنواً . »

---

(١) Charles Sallefranque, *Périples de l'amour en Orient et en Occident, les origines arabes de l'amour courtois.*

(٢) Henri Pérès, *La poésie arabe d'Andolousie et ses relations possibles avec la poésie des troubadours.*

المقال الذى يلى هـذا مختلف فى طبيعته كل الاختلاف عن هذه الدراسة ، يخصصه الأستاذ ج. هـ. بوسكيه[١] لدراسة الشريعة الاسلامية ، وقد قسم الكاتب مقاله إلى خمسة أقسام تعرض فى أولها باختصار إلى ماهية هذا القانون الاسلامى ، وانتقل فى ثانيها إلى دراسة تطبيق الشريعة فى البلاد الاسلامية قبل اتصالها بأوربا ، وفى القسم الثالث يدرس المؤلف الفقيه آثار التفكير والحياة الاقتصادية الأوربية فى بلاد ثلاثة انحسر عنها سلطان الشريعة الاسلامية وهى بلاد روسيا وتركيا وألبانيا ، وفى القسم الرابع يدرس الكاتب أحوال بلاد تطورت فيها الشريعة الاسلامية دون أن يضيع سلطانها ضياعا تاما ، وهى مصر ويوغوسلافيا والهند البريطانية وأفريقيا الشماليةالفرنسية؛ والقسم الخامس هو ختام هذا المقال يقول فيه الكاتب إن دراسة الشريعة الاسلامية وتنظيم العمل ينبغى أن تقوم على دراسة دقيقة للأحوال الاجتماعية فى البلاد الاسلامية ، لأن القانون دائما وكما هو معلوم مظهر من مظاهر حياة الجماعة التى تتوافق عليه وتخضع له .

وقد خص هذا العدد الأدب الفارسى بمقالين أحدهما للأستاذ هنرى ماسيه[٢] عن الأدب الفارسى فى الوقت الحاضر ذكر فيه الكاتب أسماء كثيرة العدد ولكنها قليلة الغناء للقارئ العادى الذى لم يتخصص فى شئون ايران ، وثانيهما للاستاذ جان هيتييه [٣] عن المأساة الدينية فى الفارسية ، وهو عرض سريع للتمثيليات الشيعية الدينية المعروفة فى إيران باسم التعزية والتى تمثل مصرع الحسين ، يقول الكاتب فى هذا المقال أن دراسة هذا الفن من فنون الشعر الفارسى تحتاج الى أن ينقطع إليها عالم من علماء الدراسات الفارسية .

وفى مقال قيم عن « الفنون المغربية » يتحدث الكاتب بيير فيلين [٤] عن فنون الاسلام ، ويقتبس فى عرض حديثه عن التصوير الاسلامى هذه الفقرة من كلام بول فاليرى ، مما يقال من منع الاسلام لتصوير الاحياء : «انى أحب هذا المنع . إنه ينقى الفن من عبادة الأصنام ومن مجرد التقليد الساذج للطبيعة والحياة ، ينقيها من الخداع والتغرير ومن كل ما هو ليس بنقى فى الفن ولا خالص . »

نلتفت بعد هذا إلى مقالات الكتاب العرب فى هذا العدد ، فنجد فيه دراسة عن أحوال المرأة المسلمة للآنسة حليمة بن عابد H. H. Benabed وصفحتين للدكتور فراج عن « حكماء الاندلس وقسم أبقراط » وقصة مراكشية للاستاذ أحمد سفريوى تمتاز بقوة الوصف وانطلاق الخيال .

ونريد أن ننوه بمساهمة الكتاب المصريين فى هذا العدد فنذكر دراسات الدكتور محمد حسين هيكل باشا فى أسباب عدم التفاهم بين أوربا والعالم الاسلامى وطرق ملافاة ذلك ، والدكتور طه حسين بك فى الاتجاهات الدينية فى الأدب المصرى الحديث ، وإلى دراسة الاستاذ توفيق الحكيم

---

(١) G. H. Bousquet, *Évolution juridique des populations musulmanes*

(٢) Henri Massé, *La littérature persane d'aunjourd'hui*

(٣) Jean Hytier, *Vie et mort de la tragédie religieuse persane*

(٤) Pierre Féline, *Arts maghrébins*

عن الأدب العربى فى ربع القرن الأخير ، و إلى القصة الرشيقة التى كتبها الأستاذ بشر فارس .

ونحن نصل الآن الى المثال الذى يختم به الأستاذ أميل درمنجم أبحاث هذا العدد الممتاز حقا. عنوان هذا المقال هو «ملاحظات عن القيم الدائمة والقيم الحالية فى الحضارة الاسلامية» ولنلخص للقارىء العربى رأى الأستاذ درمنجم فى المسلمين نذكر له أن الكاتب قد اقتبس فى مقاله الافتتاحى هذا قوله تعالى : «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس . »

أمين طه حسين